تصدير

أعد الباحث «باسم رزق عدلى رزق» مادة هذا الكتاب كرسالة علمية لنيل درجة الماجستير فى السياسة والاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، وبإشراف عالمين جليلين هما: **الأستاذ الدكتور إبراهيم نصر الدين، والأستاذ الدكتور صبحى قنصوة.**

ويسعد مركز البحوث العربية والأفريقية أن يتعاون بهذا الشكل المشرف مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة لنشر إنتاج أحد أبنائه الفائز بجائزة مخصصة لواحد من أفضل بحوث العام فى مجال العلوم السياسية باسم «**جائزة حلمى شعراوى للدراسات الأفريقية**»، وفى إطار **مركز البحوث العربية والأفريقية - بالقاهرة.**

ويعتبر الكتاب إضافة علمية متميزة فى مجال بحوث الفكر الأفريقى، وخاصة بتقديم رمز من رموز هذا التفكير الحديث وهو المفكر الأفريقى اللاتينى «**وولتر رودنى**»، كأحد ورثة فكر الوحدة الأفريقية والنضالات الأفريقية للتحرر الوطنى. ولا شك أننا نتطلع جميعاً لمزيد من المعرفة بهذا المجال فى مصر والعالم العربى.

مركز البحوث العربية والأفريقية

القاهرة ديسمبر ٢٠١٠

obeikan.com

وولتر رودني
تقديم

فى إطار الاهتمامات الدؤوبة لقسم السياسة والاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، بفتح مجالات وآفاق جديدة للبحث العلمى، جاءت رسالة الماجستير فى الدراسات الأفريقية السياسية تحت عنوان: العلاقة بين الغرب وأفريقيا فى الفكر السياسى وولتر رودنى، كباكورة الرسائل العلمية فى فرع الفكر السياسى الأفريقى. وفى هذا المجال يلاحظ أن التركيز ينصب ابتداءً على التناول لفكر الدكتور وولتر رودنى فيما يتعلق بالقضايا والمشكلات الأفريقية التى كانت موضع اهتماماته لسنوات عديدة، وهو وإن كان لا ينتمى إلى القارة الأفريقية، باعتباره أحد مواطنى جمهورية جويانا التابعة للقارة الأمريكية الجنوبية، فإن هذا الأمر ربما يلفت الانتباه إلى موضوع تلك الدراسة.

إن أهم ما يميز فكر رودنى أنه يتسم بدرجة عالية من الاتساق والشمول، وكذلك الحداثة والموضوعية فضلا عن اتسامه بالطابع العملى بمعنى القابلية للتجريب وللتطبيق فى الواقع الفعلى. ويتضح ذلك جليًا فى طرح تصوره البديل للعلاقة بين الغرب وأفريقيا، على المستويات المختلفة، سواء كانت فكرية أو تنظيمية أو حركية، كما أنه طرح طرائق وآليات عدة يمكن بواسطتها الإسهام فى إحداث تغيرات راديكالية مؤثرة على مسارات ومآلات تلك العلاقة. وفى سياق تناوله لظاهرة الاستعمار الجديد، فقد رودنى بإلحاح إلى ضرورة التعامل الشامل معها، من أجل صياغة إستراتيجية للتحرر والتنمية الأفريقية، ومن أجل استنباط الأساليب الملائمة لتحقيق تلك الاستراتيجية.

وفى هذا الشأن يذهب رودنى إلى الإقرار بأنه يستحيل تحقيق التنمية الأفريقية بدون قطيعة جذرية مع النظام الرأسمالى العالمى الذى شكل السبب الرئيسى لتخلف أفريقيا على امتداد القرون الماضية.

ربما يكون المسار الأيديولوجى الذى سلكه وولتر رودنى يقترب إلى حد كبير من الواقعية السياسية، وربما يكون مرد ذلك إلى تلك الظروف التى واكبت نشأته كإنسان أسود ربما تعود جذوره لأصول أفريقية، ودور التيارات الفكرية التى اعتملت بداخله إبان مراحل تعليمه وخصوصًا الجامعية منها فى كل من جامعة جزر الهند الغربية فى جامايكا، وعند استكماله دراساته العليا بجامعة لندن فى بريطانيا التى حصل منها على درجة الدكتوراه فى التاريخ، وكذلك أنشطته داخل جامعة دار السلام فى تنزانيا، وما اكتسبه من خبرات عملية ارتبطت بتركيزه على الدراسات التاريخية الأفريقية من ناحية، ومن أنشطته المختلفة داخل العديد من الحركات والتنظيمات السياسية مثل حركة القوة السوداء سواء أثناء فترة دراسته وعمله بجامايكا، أو بعد أن استبعد عنها وفى دول أخرى، ومن تعاظم اهتماماته وزياراته المتعددة لدول مختلفة داخل لقارة الأفريقية، وأيضا تنامى دور حركات التحرير الأفريقية، وتصاعد الصراع الأيديولوجى بين المعسكرين الشرقى والغربى، من ناحية ثانية والتى تركت تأثيراتها فى مجملها على مدركاته وتوجهاته الفكرية.

إن المتتبع للأنشطة الفكرية والأيديولوجية للدكتور وولتر رودنى ولاهتماماته السياسية الأفريقية، سيلاحظ دونما عناء أنها كانت واضحة ومتوافقة مع بعضها البعض، وعلى سبيل المثال فإن مفهومه عن الوحدة الأفريقية ولحركة الجامعة الأفريقية ظل يرتبط بضرورة وأولوية التغيير للعديد من سمات المجتمع الأفريقى، وبإمكانية أن تكون تلك الوحدة وسيلة رئيسية لمساعدة دول القارة الأفريقية على

التغلب على العديد من المشكلات والتحديات التى تكرس تخلفها.

وما تقدم توضيحه يشير إلى أن وولتر رودنى استطاع أن يجعل نشاطه السياسى ترجمة دقيقة وجلية لأفكاره وتوجهاته، ومن الميسور استجلاء ذلك فى موضوعات عدة منها رؤيته ونشاطه فيما يتعلق بضرورة وبكيفية مواجهة العنصرية والاستغلال الإثنى للجماعات وللشعوب الأفريقية، وكذلك فى قضايا متنوعة وخصوصا ما يتعلق منها بقيم العدالة والحرية والمساواة، حيث ظل يركز على أن العدالة فى مفهومها ومضمونها تعنى العدالة فى أساليب وسبل التعامل والتعاون فيما بين أفريقيا والغرب، وأن لها بعدين فى نظره، **أولهما**: يتحقق على المستوى الداخلى الأفريقى بحدوث التنمية، وباستفادة جميع شرائح المجتمعات الأفريقية من مردوداتها ومغانمها. **وثانيهما**: يتحقق على المستوى الخارجى الأفريقى بتتبع وبمراجعة تأثيرات سياساتها وممارساتها على الغرب، فى مواجهة ما يقوم به من سياسات وممارسات. وفيما يتعلق بالحرية فإنما هو يقصد بذلك التحرير من السيطرة الأجنبية، سواء كان ذلك فى صورة الاستعمار القديم كما كان يحدث فى الماضى، أو فى صورة الاستعمار الجديد كما يحدث فى الوقت الراهن. وفيما يتعلق بالمساواة فهو لا يعنى بذلك المساواة بين الرجل والمرأة، وإنما يعنى بذلك المساواة بين أفريقيا والغرب، وأنه إذا كانت هناك فروقات بينهما، فإن مرد ذلك إلى التخلف الذى تسبب فى إحداثه الغرب.

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم نصر الدين
أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة
٢٢ ديسمبر ٢٠١٠

obeikan.com

مقدمة

يشكل الفكر السياسي الإطار المرجعى للحركة السياسية، وهو كذلك المرآة التى تعكس سمات وخصّائص ومشكلات وتطلعات مجتمع أو جماعة ما فى مرحلة تاريخية بعينها. فمن خلال دراسة رؤى وتصورات أفكار مفكر ما يمكن أن ندرك سمات وتطورات الجماعة والمجتمع والمرحلة التاريخية التى عاش هذا المفكر فى كنفها، فالفكر السياسى لمفكر ما هو إلا رؤية وتصورات هذا المفكر لقضايا ومشكلات وتغيرات تحدث فى المجتمع الذى يعيش فيه فى مرحلة تاريخية، لذا فهو نتاج تفاعل عقل هذا المفكر مع مشكلات مجتمعه، وهذا ما يجعل تحليل الرؤى الفكرية مصدرًا أساسيًا لحقائق تاريخية وسياسية على قدر من المصداقية، فما هى إلا استجابة فكرية لتغيرات المجتمع الذى ينتمى له هذا المفكر.

من ثم ترتبط الحاجة لفهم تاريخ وتطور وواقع الحياة السياسية للإنسان الأسود بدراسة رؤى وتصورات المفكرين الذين ينتمون لهذا الواقع، الذين حاولوا من خلال هذه الرؤى تغيير توجهات وتطورات حياة هذه الشعوب السوداء، فقد كان هذا الإنتاج الفكرى والنظرى حصيلة التفاعل بين هؤلاء المفكرين مع التغيرات والمشكلات وسمات المجتمعات السوداء، حيث تتفاعل الأخيرة مع حصيلة خبرات المفكر التى تتكون فى ظل بيئة لها السمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تدفع المفكر لاختيار توجه فكرى دون الآخر، يحاول المفكر من خلال هذا التوجه تغيير وإصلاح

واقعه الاجتماعى، أو أن يبرز سمات ومواطن قوة ذلك المجتمع، ومن هنا يأتى تفسير الاختلاف فى التوجه الذى يتبناه مفكر ما عن غيره من المفكرين.

تدرك جل الشعوب الأفريقية أن سمات واقعهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى هى من نتاج المرحلة الاستعمارية، فقد كان لعلاقة القارة الأفريقية بالغرب منذ المرحلة الميركانتينية وما أعقبها من سياسات الاستعمار المباشر الأثر فى تحديد سمات المجتمعات الأفريقية فى المرحلة التالية، فقد حاول الغرب أن يجعل كل تطور وتغيير فى القارة يحدث من خلال إرادة الإنسان الأبيض، بل حاول أن يكرس ويخلد تلك العلاقة من خلال الرؤى والنظريات التى تثبت تفوق وسمو كل ما هو أبيض على كل ما هو أسود، وجرت محاولة نفى الإنسان الأفريقى من حركة التاريخ والتطور الحضارى. وفى ظل الرفض والمقاومة الأفريقية اضطر الإنسان الأبيض أن يغادر القارة عسكرياً خلال موجة الاستقلال التى مرت بها القارة، ولكن حاول الغرب الحفاظ على سمات العلاقة الاستعمارية فى فترات ما بعد الحصول على الاستقلال، وحاول مفكروه أن يجدوا لنظريات والأساليب والأدوات التى تحقق له هذه الأهداف وتضمن تبعية الإنسان الأسود ليس فقط سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا إنما أيضاً تبعية ثقافية وفكرية وحضارية.

ظهر الفكر الأفريقى المقاوم لسمات تلك العلاقة من إرهاصتها الأولى، وحاول المفكرون السود إيجاد الرؤى النظرية والأفكار السياسية التى يمكن من خلالها مقاومة التحديات العنصرية والاستعمارية التى حاول الغرب من خلالها تدمير إرادة الأفارقة فى المقاومة والرفض، بل وحاول أن يخضعهم بأدوات عسكرية مادية تارة، وبأدوات ثقافية نفسية تارة أخرى، فقد حاول الإنسان الأبيض أن يرسخ فى وعى الأفريقى الإحساس بالدونية وأن يدفعه إلى رفض كل ما يمد بصلة للحضارة والتاريخ الأفريقى، وأن يرسخ داخله الانبهار والإعجاب بكل ما هو غربى أبيض،

وحاول الغرب من خلال كل ذلك تبرير ما قام به من رق ونهب واستعمار للأقاليم السوداء، بل كان يروج لادعاء أن له رسالة حضارية وأنه يحمل المدنية والتحضر لهذه الشعوب السوداء.

ظهرت التيارات الفكرية المقاومة بين الجماعات والشعوب الأفريقية منذ وصولهم إلى العالم الجديد رافضة عقلية العبودية والشعور بالدونية، بل ورفضت تشويه التاريخ الأسود وتحقير الثقافة الأفريقية على يد الإنسان الأبيض؛ لذلك ظهرت «حركة الكنائس الأفريقية المستقلة» كتيار فكرى ترجع جذوره إلى نهاية القرن الثامن عشر، وإلى جانب هذه الحركة كان هناك «حركة العودة لأفريقيا»Back to Africa ، وبدأت بعض الجماعات تقديم التماسات تطالب فيها بالعودة لأفريقيا كتعبير مادى عن تلك الرغبة الفكرية، كذلك تطورت حركة ثقافية فى هارلم (حى السود فى مدينة نيويورك) كتعبير ثقافى لرفض الثقافة البيضاء، ولإيجاد آليات تدعو لفخر الإنسان الأسود بثقافته، وامتد تأثير هذا التيار حتى بداية القرن العشرين فيما يعرف بـ «نهضة هارلم».

أخذت التيارات الفكرية الأفريقية المقاومة فى التبلور فى شكل مؤتمرات وحركات منظمة من منتصف القرن التاسع عشر، وبخاصة مع بداية القرن العشرين، وجاءت مؤتمرات مفكرى تيار الجامعة الأفريقية Pan-Africanism كتعبير عن الرفض السياسى والمؤسسى للعنصرية البيضاء، وعلى الرغم من أن بداية ذلك التيار كانت خارج القارة، إلا أنه سريعاً ما انتقل إلى داخل القارة، ودعا بعض أنصار هذا التيار إلى عودة السود إلى القارة كحل جذرى لما يلاقونه فى العالم الأسود، فى حين كانت رؤية البعض أن الحل لمشاكل الجماعة السوداء يكمن فى انصهار السود داخل المجتمع الأبيض، واستمر تطور هذا التيار وتعددت آليات أنصاره مع سلسلة مؤتمرات الجامعة الأفريقية وما نتج عنها من رؤى فكرية للمقاومة، وتوازى

مع هذا التيار بروز حركة القوة السوداء Black Power Movement بين العديد من المفكرين السود فى الكاريبى فى محاولة لإيجاد سبل تحرير السود على المستوى الفكرى والثقافى.

لم تكن تلك التيارات الفكرية المقاومة قاصرة على الجماعات السوداء التى تعيش خارج القارة، فقد برز داخل القارة العديد من الرؤى الفكرية والتيارات النظرية التى تتناول مشكلات علاقة القارة بالغرب. حاول البعض من تلك التيارات أن تضع الحلول الحضارية والثقافية لهذه المشكلات من خلال إعادة الاعتبار للتاريخ الأفريقى وللثقافة والشخصية السوداء رافضة التشوية الذى حدث لها من خلال الكتابات البيضاء، بل وحاولوا إثبات سمو وتفوق الحضارة والثقافة السوداء على كل ما هو أبيض، وكان ذلك محور اهتمام الشيخ أنتاجوب Anta-Diop المفكر الأبرز فى تيار الزنوجة Negritude. فى حين حاولت تيارات فكرية أفريقية أخرى أن تقوم بمقاومة سياسات الغرب على المستوى النفسى/ السيكولوجى عند السود، ويكون ذلك من خلال ترسيخ الاتجاهات العقلية التى تدفع الأفارقة لمراجعة أمور حياتهم التى تثبت أنهم ليسوا أدنى من البيض، بل سوف تثبت أسبقية وسمو كل ما هو أسود، وكان ذلك محور تيار الوعى الأسود Black Consciousness الذى برز فى الجنوب الأفريقى، وكان ستيف بيكو Steve Biko من أبرز مفكرى هذا التيار.

حاولت التيارات الفكرية الأفريقية أن تصيغ الرؤى الفكرية لمقاومة تحديات ما بعد الاستعمار التى تفرضها علاقة الغرب بالدول الأفريقية حديثة الاستقلال، ولذلك عمل المفكرون الأفارقة على دراسة واقع ما بعد الاستعمار وإيجاد السبل والآليات التى يمكن من خلال إخراج القارة من تبعات الاستعمار. حاول البعض صياغة سبل وأدوات مقاومة الأشكال الجديدة من الاستعمار، ففى حين رأى البعض أن الوحدة هى السبيل لإنهاء هذه التبعية، رأى البعض الآخر أن التنمية هى

البداية المنطقية لإنهاء حالة التخلف والاستعمار الجديد، فى حين حاول تيار ثالث إيجاد آليات تخالف ما يقدمه الغرب من طرق للتنمية من خلال وضع الصيغ الأفريقية للإشتراكية، ذلك فى سبيل رفض كل ما يأتى من الغرب من رؤى ونظريات، وكان الهدف من هذه التيارات مجابهة آليات ووسائل الغرب التى تهدف لإبقاء القارة فى حالة تبعية اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية.

يعبر وولتر رودنى Walter Rodney عن الرؤية الفكرية التى قدمها عن نموذج فكرى للفكر السياسى الذى ناقش العلاقة بين أفريقيا والغرب وحاول تقديم الحلول الفكرية لما يشوب تلك العلاقة من جوانب سلبية وعدم اتزان لصالح الغرب، فقد عاش رودنى بين الجماعة السوداء فى أحد دول الكاريبى أثناء الفترة الاستعمارية؛ لذا فقد عاصر عنصرية الإنسان الأبيض وأساليبه وأدواته فى التعامل مع الإنسان الأسود فى العالم الجديد ودول الكاريبى، وانتقل بعدها إلى لندن ليرى سمات تلك العلاقة من داخل المجتمع الأبيض، ثم عاش فى أفريقيا ليكمل الصورة من خلال معاصرته لهذه السياسات العنصرية والاستعمارية داخل حدود القارة الأفريقية، وعاصر رودنى أيضاً مرحلة الاستقلال وحركات التحرير وما أفرزته تلك المرحلة من تحديات ورؤى ونظريات فرضت تقديم الإسهام الفكرى من مفكرى المرحلة، ومن تأثير جملة العناصر السابقة جعل رودنى لسمات العلاقة التى تجمع القارة الأفريقية بالغرب الأولوية فى الرؤى الفكرية التى قدمها، بل وحاول دراسة أبعاد تلك العلاقة فى فترة ما بعد الاستقلال، وقدم الرؤى التى يمكن من خلالها تعديل ما يشوب علاقة القارة الأفريقية بالغرب من أبعاد سلبية، وهذا شكل الدافع لدراسة وتحليل الرؤى التى قدمها.

يحتوى هذا العمل على دراسة وتحليل الرؤى والتصورات الفكرية التى قدمها وولتر رودنى والتى تمت دراستها فى إطار رسالة الماجستير للباحث، وكانت

الأخيرة تحت إشراف أحد أهم الأساتذة فى الدراسات الأفريقية هو الأستاذ الدكتور إبراهيم نصر الدين أستاذ العلوم السياسية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، وفى هذا الصدد يتقدم له الباحث بخالص الشكر والعرفان بالجميل لجهد سيادته ولعظيم أثر توجهياته فى وصول العمل لهذه الصورة، وشارك سيادته فى الإشراف على الرسالة أيضاً أحد أهم أساتذة تدريس الفكر السياسى الأفريقى وهو الدكتور صبحى قنصوة أستاذ العلوم لسياسية المساعد بالمعهد، والذى كان له عظيم الأثر فى توجيه الباحث لهذا الحقل من العلوم السياسية، ولم يتوان سيادته عن تقديم النصح والإرشاد حتى تخرج الرسالة فى أكمل صورة لها، ويتقدم الباحث أيضاً لأحد أهم المهتمين فكرياً وعملياً بالشأن الأفريقى وهو الأستاذ حلمى شعراوى صاحب جائزة حلمى شعراوى للبحوث الأفريقية والذى كان له الفضل فى ظهور هذا الكتاب للقارئ، وكذلك يتقدم الباحث بخالص الشكر لكافة أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة بقسم السياسة والاقتصاد لما أبدوه من مساعدات للباحث ليخرج العمل على هذا النحو، ويطيب للباحث أن ينوه عن عظيم تقديره لكل من مد له يد العون والمساعدة.